الملكة زين الشرف ودورها السياسي والاجتماعي في الأردن حتى عام 1994

الباحث الأول:
م.د. مثنى أيوب لفته
جامعة سامراء/ كلية الآداب

الباحث الثاني:
م.د. ايمن عبدالكريم محمود
جامعة سامراء/ كلية الآداب

الباحث الثالث:
أ.م.د. بكر عبد المجيد محمد
جامعة سامراء/ كلية الآداب

الملخص:

يتناول هذا البحث دراسة شاملة للدور السياسي والإنساني الذي قامت به الملكة زين الشرف في الأردن خلال الحقبة الممتدة من منتصف القرن العشرين حتى وفاتها عام 1994، وقد ركز البحث على تحليل مساهماتها في خمس مراحل مفصلية من تاريخ المملكة النشأة والتكوين الفكري، مشاركتها السياسية خلال حكم الملك طلال، ودورها الحاسم خلال مدة الوصاية على العرش، وإسهاماتها في دعم المؤسسات السياسية والاجتماعية، وأخيرا نشاطها الإنساني خلال حكم الملك الحسين بن طلال.

لم تكن الملكة زين الشرف لم تكن شخصية عامة فحسب، بل كانت شريكة حقيقية في مسار بناء الدولة الأردنية، ومبادرة في إطلاق مشاريع اجتماعية وتنموية تركت أثرا عميقا في المجتمع الأردني، وأن زين الشرف شكلت أنموذجا مبكرا للمرأة السياسية والإنسانية الفاعلة في العالم العربي، وأن حضورها التاريخي يستحق مزيدا من التوثيق والدراسة.

الكلمات المفتاحية: الملكة زين الشرف، الأردن، الوصاية، العمل الخيري، تمكين المرأة.

Al Malweah
for Archaeological
and Historical Studies

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

Queen Zein Al-Sharaf and Her Political and Social Role in Jordan until 1994

Dr. Muthana Ayoob Lafta
University of Samarra / College of Arts
Dr. Ayman Abdulkarim Mahmood
University of Samarra / College of Arts
Dr. Bakr Abdel Majeed Muhammad
University of Samarra / College of Arts

Abstract:

This study presents a comprehensive examination of the political and humanitarian role played by Queen Zein Al-Sharaf in Jordan from the mid-20th century until her death in 1994. The research focuses on analyzing her contributions across five critical phases in the Kingdom's history: her early life and intellectual formation, her political involvement during King Talal's reign, her pivotal role during the regency period, her efforts in supporting political and social institutions, and finally, her humanitarian engagement during the reign of King Hussein. The study affirms that Queen Zein Al-Sharaf was not merely a ceremonial or symbolic figure, but a true partner in the process of state-building in Jordan. She initiated and supported social and developmental projects that left a lasting impact on Jordanian society. Her legacy stands as an early model of politically and socially engaged women in the Arab world, deserving further scholarly attention and documentation.

Keywords: Queen Zein Al-Sharaf, Jordan, Regency, Humanitarian Work, Women's Empowerment

المقدمة:

تعد الملكة زين الشرف واحدة من أبرز الشخصيات النسائية في التاريخ السياسي والاجتماعي الحديث والمعاصر للمملكة الأردنية الهاشمية، إذ تجاوز دورها حدود الأدوار التقليدية للمرأة في المحيط العربي، لتصبح عنصرا فاعلا في بناء الدولة الأردنية، وتعزيز هويتها الوطنية، والمشاركة في صنع القرار العام، منذ بدايات التأسيس وحتى العقد الأخير من القرن العشرين وقد أدت دورا محوريا في حقبة مفصلية من تاريخ الأردن، جمعت فيها بين كونها أما للملك الحسين

بن طلال، ووصية على العرش، ومؤسسة لأهم المبادرات التنموية والنسوية والاجتماعية في البلاد.

وتكتسب دراسة الملكة زين الشرف أهميتها من طبيعة التغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدها الأردن في العقود التي عاصرتها، ولاسيما من حيث بناء مؤسسات الدولة، وتشكيل هوية وطنية جامعة، وتعزيز مكانة المرأة في المجال العام، فضلا عن علاقتها المتوازنة مع السلطة التنفيذية ومؤسسات المجتمع المدني، مما يجعل منها أنموذجا فريدا في الممارسة السياسية الهادئة ذات الأثر العميق والمستدام. وقد ساعدها في ذلك موقعها الأسري والرمزي، وشخصيتها ذات الأبعاد الفكرية والإنسانية التي انعكست في رؤيتها للمرأة والمجتمع والدولة.

تتناول هذه الدراسة الدور السياسي الذي أدته الملكة زين الشرف أربع محاور، تغطي كل مرحلة زمنية على حدة إذ تعرض المحور الأول نشأتها وتكوينها السياسي حتى عام 1951، في حين يركز المحور الثاني على مشاركتها في إدارة الحكم وشؤون الدولة خلال مدة الوصاية، ويتناول المحور الثالث جهودها في دعم قضايا المرأة الأردنية بين عامي 1956 و1975، وأخيرا يستعرض المحور الرابع دورها في بناء الهوية الوطنية والتنمية الاجتماعية حتى عام 1994، تاريخ وفاتها.

أولا: ولادتها ونشأتها وتكوينها الاجتماعي للملكة زين الشرف 1916–1951

ولدت زين الشرف بنت جميل في مصر في الثاني آب عام 1916، وسط أسرة هاشمية ذات أصول عربية أصيلة مما منحها منذ ولادتها موقعا متميزا بين النخبة الاجتماعية والسياسية وارتبطت أسرتها المباشرة بالحركة القومية العربية، وكان والدها أحد رجالات الثورة العربية الكبرى فيما شكلت والدتها وهي من أصول تركية تنتمي لعائلة عثمانية معروفة في إسطنبول، مصدر توازن ثقافي وتربوي في حياتها ومنذ سنواتها الأولى، نشأت زين الشرف في بيئة تجمع بين النزعة الوطنية وروح التمدن إذ امتزجت القيم العربية العريقة بأسلوب حياة متفتح أتاح لها بناء شخصية مرنة وقادرة على التعامل مع التحديات المستقبلية.

كان والدها جميل بن ناصر بن علي – وهو ابن شقيق الشريف الحسين بن علي– شخصية مؤثرة في المشهد السياسي العربي في النصف الأول من القرن العشرين، ولد في الحجاز وشارك

مبكرا في الثورة العربية الكبرى عام 1916، تحت قيادة الشريف الحسين بن علي، ثم التحق بخدمة الملك فيصل الأول في سوريا، إذ تولى منصب حاكم حوران إبان حكم المملكة العربية السورية عام 1920، بعد انهيار الحكم الفيصلي انتقل مع بقية الأسرة الهاشمية إلى الأردن، إذ شغل منصب رئيس الديوان الأميري العالي للأمير عبد الله بن الحسين، واستمر في منصبه حتى وفاته عام 1938، وكان له دور محوري في رسم العلاقات بين الأسرة الهاشمية والنخب الأردنية الناشئة (الشيخ علي، 2002، 246).

أما والدتها وجدان هانم ابنة شاكر باشا الوالي العثماني لقبرص، فكانت سيدة متعلمة تنحدر من عائلة تركية أرستقراطية في إسطنبول، وتربت على قيم العلم والانفتاح مما انعكس على طريقة تنشئتها لابنتها زين الشرف شجعت وجدان ابنتها على التعلم والتفاعل مع محيطها الثقافي والاجتماعي، وأسهمت بشكل مباشر في غرس مفاهيم العمل العام والتربية المدنية وقد أدت دورا تربويا مؤثرا في حياة زين، التي تأثرت بأسلوبها في التعامل الراقي وثقافتها المتنوعة، مما أرسى الأسس الأولى لشخصية تجمع بين الرصانة الهاشمية والاتزان الاجتماعي العثماني (مجلة المصور، 1955، ص 17).

ألزمت اسرتها للنزوح في مدينة الإسكندرية بمصر بسبب ظروف الحرب في الحجاز عام 1924، والاستقرار فيها، تلقت زين الشرف تعليمها الابتدائي والثانوي في مدارس راقية بالإسكندرية حيث التحقت بمدرسة "الدام دي سون" الفرنسية، وظلت تتلقى فيها العلوم مدة عشر سنوات واظهرت خلالها قدرة عالية في استيعاب العلوم التي كانت تتلقاها في المدرسة فأتقنت اللغة الفرنسية خلال دراستها وتعلمت الملكة زين في هذه المدرسة التعامل الدبلوماسي وبرعت فيه وظهرت في المدرسة شخصية لافتة للنظر وقوية ونافذة، وذكائها الواضح ثم بمدرسة إنجليزية خاصة مما وفر لها فرصا واسعة لتعلم اللغات، ولاسيما الفرنسية والإنجليزية، إلى جانب اللغة العربية وكان هذا التكوين المتعدد الثقافات عاملا أساسا في تنمية قدراتها الفكرية والنقدية منذ صغرها، وأكسبها قدرة نادرة على التحرك بين العوالم الثقافية المختلفة، وهو ما سيظهر لاحقا في خطابها السياسي والاجتماعي (المصرية، 1955، ص 2).

إن الملكة زين شخصية قوية معتمدة على نفسها وتتمتع بذكاء ودهاء مع ميل الى العنف في سلوكها حينما يتطلب الامر، أي: إنها شرسة الطبع وهي في الوقت نفسه انانية متطرفة في ارائها وحادة ولا تتهاون في اية مسألة تعنيها، ولا تتردد في استعمال القوة في اي موضع حينما تشعر أن موقفها ضعيف، قالت الأميرة بديعة بنت علي في مذكراتها عنها: "إن الملكة زين شخصية

قوية وتظهر قوتها بوضوح عند احترام الموقف إذ يغلب الطابع الهجومي على سلوكها وتصرفاتها مع الاخرين"(الشيخ علي، 2002، ص248). اما ولدها الملك حسين فقال: "إن امي شديدة الذكاء وقوية ولولا تضحيتها واخلاصها وصبرها لما كان في مقدور والدي أن يحكم بلادنا خلال الفترة القصيرة التي داهمه المرض اثناءها، ولو أن ابي كان يعرف امي تقف الى جانبه، لم يتدخل بعزم وتصميم بعد اغتيال جدي في تموز 1951، لكان من المحتمل أن يكون تاريخ الاردن اليوم مختلفا عما هو عليه الان" (جم، 1987، ص17).

وفي عام 1934، عادت زين الشرف إلى عمان مع والدها بعد أن تسنم منصبا رسميا في البلاط الأميري وخلال هذه المدة، بدأت تندمج في الحياة الاجتماعية الأردنية، وظهرت بوادر وعيها بالقضايا العامة بمساهمتها في الأعمال الخيرية وتنظيم المبادرات التعليمية للنساء في عمان. كانت هذه المرحلة نقطة تحول في بناء دورها العام، إذ خرجت من دائرة النخبة العائلية لتكون فاعلة في الفضاء العام، في مجتمع كان لا يزال في بدايات تشكله السياسي والاجتماعي (الشيخ علي، 2002، ص 246).

تزوجت زين الشرف من الأمير طلال بن عبد الله، نجل الأمير عبد الله الأول في عام 1934، وهو كان وليا للعهد الأردني فانتقلت الى عمان لتعيش والأمير طلال يمت إليها بصلة القربى، وهو ابن عمتها ووالدهما ابناء عم لم يكن زواجا ملكيا كما يتصوره البعض وإنما كان زواجا عاديا بسيطا وليس فيه ما يستحق الذكر فلا حفلة ولا بهجة ولا غناء؛ بسبب اعتراض والده الملك عبد الله؛ لأن وفاة شقيقه الملك فيصل الأول في 8 أيلول عام 1933، وكذلك ابنته الأميرة الرفيعة في العاشر من شباط 1934، التي لحقته بعد شهور لم تمض عليها سنة واحدة وليس من المناسب اقامة افراح يتخللها غناء وافراح(كلوب باشا، ص170).

وكانت الملكة زين الشرف الشخصية الأكثر تأثيرا وسيطرة في القصر الملكي الأردني، ولاسيما خلال المراحل الانتقالية في الحكم فقد حملت لقب "صاحبة الجلالة" لمدة ثلاثة عشر شهرا فقط وهي مدة حكم زوجها الملك طلال وعندما ورث ابنها الحسين العرش خلفا لوالده، احتفظت زين الشرف باللقب واستمرت في بسط نفوذها داخل القصر، مستفيدة من صغر سن الملك الجديد وضعف خبرته في إدارة شؤون الحكم، وفي عام 1955، وبعد زواج الملك حسين من الشريفة دينا عبد الحميد، تخلت الملكة زين رسميا عن لقب "الملكة"، لكنها لم تنسحب من المشهد السياسي أو من إدارة شؤون القصر إذ استمر ابنها في تمكينها من تأدية دور محوري في دائرة صنع القرار، فواصلت فرض سيطرتها وأحكمت قبضتها على مفاصل الحياة السياسية داخل

القصر الملكي، وهيمنت على شؤون الدولة خلال تلك المرحلة الحساسة من تاريخ الأردن(الجعفري، 2006، ص36).

أما على صعيد علاقاتها مع العائلة الهاشمية الحاكمة في العراق، فقد كانت العلاقة بين الفرعين الهاشميين – في بغداد وعمان – جيدة ومتوافقة وكانت الملكة زين تزور بغداد كلما سنحت الفرصة، وتقيم هناك أياما عدة ضيفة على أفراد العائلة الملكية، وكان أفراد الأسرة الهاشمية في بغداد يردون هذه الزيارات بزيارات مماثلة إلى عمان وقد أرست تلك العادة تقاليد راسخة في التواصل والتزاور، أسسها الملك فيصل الأول ملك العراق وشقيقه الملك عبد الله الأول ملك الأردن، وظلت مستمرة بعد رحيلهما، إذ حرص الأبناء والأحفاد على الإبقاء على هذه الصلات الأسرية الوثيقة(الجعفري، 2006، ص40).

وعلى الرغم من هذه الروابط العائلية والسياسية القوية لم تخل العلاقة من النقد، إذ كانت العائلة الهاشمية في بغداد تنتقد أسلوب حياة الملكة زين، عادة أنها تميل إلى التحرر المفرط، وتبتعد عن القيم الهاشمية التقليدية المرتبطة بالاحتشام والوقار وقد عزي هذا الاختلاف في التوجه إلى نشأة الملكة زين وتأثرها بالثقافة الغربية نتيجة إقامتها الطويلة في مصر وتلقيها التعليم في مدرسة فرنسية بمدينة الإسكندرية. وفي المقابل، كانت نساء العائلة المالكة في بغداد، من ملكات وأميرات، أكثر تمسكا بالتقاليد الهاشمية المحافظة، إذ ظللن يرتدين العباءة العراقية السوداء حتى أواخر العهد الملكي، ولم يظهرن في وسائل الإعلام، ولا شاركن في الحياة السياسية أو شؤون القصر بشكل مباشر أو غير مباشر، ووصف الأميرة بديعة –إحدى أميرات الأسرة الهاشمية في بغداد– علاقتها بالملكة زين فقالت: "اتسمت علاقتي بالملكة زين، التي تكبرني بأربع سنوات، بالتذبذب، تارة تغضب مني وتارة نتصالح، وهكذا قضينا عمرنا حتى وافاها الأجل المحتوم في أواسط التسعينات من القرن العشرين"(الشيخ علي، 2002، ص246).

إن الزواج لم يكن فقط ارتباطا شخصيا بل مثل تحالفا بين تيارين هاشميين داخل البيت الملكي أضفى هذا الزواج على زين الشرف بعدا سياسيا جديدا إذ أصبحت جزءا من النظام الملكي الناشئ، وبدأت تأخذ مكانتها تدريجيا ضمن الأسرة الحاكمة، فضلا عن أن العلاقة بينها وبين الأمير طلال اتسمت بالتفاهم الفكري والتكامل في الأدوار، مما هيأها لاحقا لتحمل مسؤوليات أكبر في الدولة وخلال السنوات الأولى من زواجها، وأدت زين الشرف دورا غير رسمي لكنه مؤثر في محيط العائلة المالكة، إذ كانت تستقبل الوفود النسائية، وتشارك في المناسبات العامة، وتقدم الدعم للمبادرات الثقافية، وفي هذه المرحلة بدأت ملامح رؤيتها الاجتماعية تتبلور، إذ

أولت اهتماما واضحا لقضايا تعليم المرأة وصحتها، وسعت لتأسيس أطر مدنية تدعم النساء خارج نطاق العمل المنزلي، وهو توجه لم يكن مألوفا في ذلك الوقت بالأردن.

أبناء الملكة زين الشرف: أدوارهم السياسية ومكانتهم في العائلة المالكة الأردنية:

للملكة زين الشرف عدد من الابناءوساهموا في في رسم الخارطة السياسية للدولة الاردنية وهم أولا: الحسين بن طلال:

ولد الأمير الحسين بن طلال في الرابع عشر من تشرين الثاني عام 1935، في عمان وهو الابن الأكبر للملكة زين الشرف والملك طلال بن عبد الله، تربى الحسين في كنف والديه في مدة حساسة من تاريخ الأردن، إذ شهدت البلاد مراحل تأسيس الدولة وبناء المؤسسات الوطنية، امتاز منذ صغره بالشخصية القيادية والحنكة السياسية، وأمضى سنوات دراسته في مؤسسات تعليمية داخل الأردن وخارجه، ارسل الى الإسكندرية بمصر للدراسة في كلية فكتوريا وهي مدرسة عامة للمراحل كافة تدار بحسب النظم البريطانية وتجمع في التعليم بين اللغتين الإنكليزية والعربية، وبعد مقتل جده في تموز عام 1951، أصبح وليا للعهد الأردني وتوترت العلاقات بين الأردن ومصر فسافر الى لندن لمواصلة الدراسة في كلية "هارو"، وفي آب 1925 عزل والده الملك طلال من عرشه فأصبح ملكا على الأردن بوصفه وارثا لعرش ابيه فقد نادى به مجلس الامة الاردني، وكان يبلغ من العمر انذاك سبعة عشر فشكل مجلس وصايا ينوب عنه في إدارة شؤون البلاد لحين بلوغه سن الثمانية عشر عاما التي تؤهله لتولي سلطاته الدستورية، أما الملك حسين فقد غادر الى لندن ليدرس في اكاديمية "ساند هيرست" خلال مدة الوصاية فأكملها ومنح رتبة ملازم في الجيش وعاد الى بلاده في نيسان 1953، ليتوج على العرش في الثاني من أيار عام 1953(جم، 1987، ص40).

ومنذ ذلك اليوم بدأ بممارسة سلطاته الدستورية فقد سعى سعيا حثيثا لتطوير بلده واسعاد شعبه فالتف حوله وتفاعل معه وأحبه حبا كبيرا، حتى بلغ بلده في أواخر الثمانينات النموذج الغر في المنطقة كما أراد له، وعلى الصعيد الشخصي برع طيارا ماهرا يقود شتى أنواع الطائرات المدنية والحربية بنوعيها المقاتلة والهليكوبتر، وبرز كرجل دولة من طراز رفيع لما يتميز به من حكمه وقدرة وكفاءة وذكاء(الجعفري، 2006، ص39).

توفي الملك الحسين بن طلال عن عمر ناهز الرابعة والستين عاما في شباط عام 1999، وقد جرت له مراسم تشييع مهيبة في العاصمة الأردنية عمان، شارك فيها عدد كبير من رؤساء الدول

والحكومات والشخصيات السياسية الدولية البارزة وكان من بين الحاضرين أربعة رؤساء أمريكيين سابقين: جيمي كارتر، وجيرالد فورد، وجورج بوش الأب، وبيل كلينتون، مما عكس المكانة الرفيعة التي تمتع بها الملك الحسين على الساحة الدولية، وعلى الصعيد الشخصي، عرف الحسين بحبه للطيران وقيادة الدراجات النارية وسباقات السيارات، إذ كان طيارا محترفا وذا مهارة عالية في القيادة. تزوج خلال حياته أربع مرات؛ كانت زيجته الأولى من الشريفة دينا عبد الحميد التي أنجبت له الأميرة عالية، وانفصل عنها عام 1957،(الجعفري، 2008، ص39)، أما زواجه الثاني فكان من البريطانية أنطوانيت توني غاردنر، التي أصبح اسمها بعد الزواج الأميرة منى وقد تزوجها عام 1961، وأنجبت له الملك عبد الله الثاني، والأمير فيصل، والتوأمتين زين وعائشة، وانفصل عنها عام 1972، وفي عام 1973، تزوج من الفلسطينية علياء بهاء الدين طوقان، التي أنجبت له الأميرة هيا والأمير علي، إلا أنها توفيت في حادث تحطم طائرة مروحية عام 1977، أما زيجته الرابعة فكانت الأمريكية ذات الأصول السورية إليزابيث نجيب حلمي، التي عرفت بعد الزواج باسم الملكة نور الحسين، وقد أنجبت له الأميرين حمزة وهاشم، والأميرتين إيمان وراية(تايمز، 2008).

الابن الثاني للملكة زين الشرف كان الأمير محمد بن طلال:

ولد الأمير محمد بن طلال في الثاني من تشرين الأول عام 1940، في العاصمة الأردنية عمان، وهو الابن الثاني للملك طلال والملكة زين الشرف تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في عمان، ثم التحق في أيلول/سبتمبر عام 1958، بالكلية العسكرية في بغداد غير أن الأحداث السياسية المتسارعة في العراق ولاسيما ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958، التي أدت إلى مقتل أفراد العائلة الملكية الهاشمية هناك، دعته إلى العودة إلى عمان لاستكمال دراسته العسكرية، أنهى دراسته في عام 1960، وتخرج برتبة ملازم، ثم خدم في صفوف الجيش الأردني، وحافظ الأمير محمد على قربه من شقيقه الملك الحسين، الذي كان يثق به ويعتمد عليه كثيرا، كما في حادثة تمرد بعض ضباط الجيش في معسكر الزرقاء في أيار 1957، إذ كلفه الملك برفقة الأمير زيد بن الحسين بالذهاب إلى الوحدات العسكرية الموالية للعرش. وكان الأمير محمد حاضرا إلى جانب الملك الحسين يوم تتويجه رسميا ملكا على الأردن في الثاني من أيار 1953، وقد عين وليا للعهد بعد ذلك، إلا أنه أعفي من هذا المنصب عام 1962، إثر ولادة الأمير عبد الله (الملك الحالي)، الذي تولى ولاية العهد بدلا عنه، وعلى الرغم من عزله من

ولاية العهد، ظل الأمير محمد يؤدي أدوارا بارزة، ولاسيما في المدد التي كان يغيب فيها الملك الحسين عن البلاد، ولاسيما في أوائل وأواسط عقد الستينات من القرن العشرين (الحسني، 1982، ص 170).

وفي السادس والعشرين من أيار عام 1967، أناب الملك الحسين شقيقه الأمير محمد بن طلال لإدارة شؤون البلاد في أثناء غيابه إلى العاصمة المصرية القاهرة، حيث كان يلتقي هناك مع القادة المصريين، وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر، وذلك قبيل اندلاع العدوان الإسرائيلي على مصر في الخامس من حزيران/يونيو من العام نفسه/ وقد جاء هذا التكليف في ظل وجود ولي العهد آنذاك الأمير الحسن بن طلال خارج البلاد لمتابعة دراسته الجامعية في جامعة أكسفورد في لندن، وعلى الرغم من أن الأمير محمد لم يظهر بالحضور السياسي نفسه الذي امتاز به بعض أشقائه، إلا أنه كان شخصية فاعلة ضمن العائلة المالكة الأردنية، إذ شارك في العديد من المناسبات الرسمية والأنشطة الوطنية، وحرص على دعم القضايا الاجتماعية والوطنية بانخراطه في لجان وهيئات مختلفة، ومثل الأردن في عدد من المحافل الدولية الرسمية، وواصل أداء مهامه ضمن الأسرة المالكة مركزا على دعم استقرار المملكة وتعزيز جهود العمل الخيري والاجتماعي (اللبنانية، 1977، ص 26).

اما الأمير الحسن بن طلال فقد ولد في العشرين من آذار عام 1947، في العاصمة الأردنية عمان، وهو الابن الثالث للملك طلال والملكة زين الشرف. أكمل دراسته الثانوية في الأردن، ثم انتقل إلى المملكة المتحدة ليلتحق بجامعة أكسفورد، حيث درس الاقتصاد والسياسة، ونال شهادة البكالوريوس عام 1968، تولى ولاية العهد في عام 1964 بقرار من شقيقه الملك الحسين، على الرغم من صغر سنه آنذاك، وظل يشغل هذا المنصب على مدى أربعة وثلاثين عاما حتى عام 1999، تزوج الأمير الحسن من ثروت كريمة محمد أكرام الله، وهي باكستانية الجنسية، وابنة أحد أصدقاء مؤسس دولة باكستان محمد علي جناح وقد التقى بها خلال دراستهما في جامعة أكسفورد، حيث كانت تحضر لنيل درجة الدكتوراه، له ثلاث بنات: الأولى بديعة والثانية رحمة والثالثة سمية وولد اسمه راشد، وكان الأمير الحسن مهتما بالقضايا الفكرية والسياسية، وله دراسات متعددة في مجالي السياسة والاقتصاد وأشرف على مؤسستين فكريتين بارزتين: "المنتدى"، وهو مركز للدراسات السياسية والاستراتيجية، و"مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي."(الشيخ علي، 2002، ص250).

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

وفي شباط عام 1999، وقبيل وفاة الملك الحسين صدر قرار بعزل الأمير الحسن عن منصبه وليا للعهد، وأدى الأمير عبد الله الثاني – نجل الملك الحسين – اليمين الدستورية أمام مجلس الأمة الأردني كنائب للملك، قبل أن يتولى العرش رسميا عقب وفاة والده مباشرة، طيلة مدة توليه ولاية العهد، برز الأمير الحسن بنشاطه الواسع في مجالات العمل الإنساني والثقافي، وتولى رئاسة عدد من المؤسسات التنموية والاجتماعية، داخل الأردن وخارجه، بصفة فخرية عرف بدعمه لقضايا الشباب وتمكين المرأة، وأسهم في تعزيز البرامج التعليمية والتدريبية الرامية إلى بناء القدرات الوطنية، ومثل الأردن في العديد من المؤتمرات الدولية، ونال تقدير المجتمع الدولي بفضل رؤيته التقدمية في مجالات التنمية المستدامة، ويعد الدور الذي أداه الأمير الحسن امتدادا لرؤية الأسرة الهاشمية في خدمة القضايا المجتمعية والتنموية، ومثل أحد الأعمدة الأساسية في ترسيخ الاستقرار السياسي والاجتماعي في الأردن وتوفي الأمير الحسن بن طلال في 29 نيسان عام 2021(الجعفري، 2006، ص34).

اما الأميرة بسمة بنت طلال فتعد البنت الوحيدة للملكة زين الشرف ولدت في العاصمة الأردنية عمان عام 1949، ونشأت في كنف أسرة ملكية حرصت على تنشئتها تنشئة متوازنة تجمع بين المبادئ والقيم والاهتمام بالتعليم، فقد أولت والدتها الملكة زين الشرف عناية خاصة بها منذ صغرها، إذ حرصت على غرس مبادئ المرأة العربية المسلمة فيها، وعملت على تعليمها واجبات وفنون إدارة شؤون المنزل، وسعت إلى تنمية مهاراتها الفكرية والعقلية بألعاب ذهنية هادفة كانت تسليها بها خلال أوقات فراغها ولم تتردد الملكة في تشجيع ابنتها على الاهتمام بالأعمال النسوية، رغبة في إعدادها لتكون امرأة ناضجة قادرة على تطوير قدراتها ومهاراتها في مختلف مجالات الحياة(الشيخ علي، 2002، ص250).

تزوجت الأميرة بسمة من السيد تيمور الداغستاني، نجل اللواء الركن غازي الداغستاني، القائد العسكري العراقي المعروف، والذي شغل منصب رئيس أركان الجيش العراقي في العقد الأخير من عهد النظام الملكي في العراق وكان تيمور يشغل منصب الحارس الشخصي للملك الحسين، ثم عين لاحقا سفيرا للمملكة الأردنية الهاشمية في المملكة المتحدة. غير أن هذا الزواج لم يكتب له الاستمرار، فانفصلا لاحقا ثم تزوجت الأميرة بسمة مرة أخرى من السيد خالد الكردي، وهو ابن السائق الخاص لوالدها الملك طلال(الدفاع، 1990).

أدت الأميرة بسمة دورا مهما في العمل الاجتماعي والخيري في الأردن، إذ شاركت في تأسيس ودعم العديد من المبادرات التي تعنى بقضايا المرأة والأسرة عرفت بحضورها الفاعل في

المناسبات الرسمية والمجتمعية، وكانت صوتا نسائيا داعما لقضايا التنمية والتمكين في المجتمع الأردني بنشاطاتها، ساعدت في تعزيز دور المرأة الأردنية في الحياة العامة وتركت أثرا ملموسا في الحراك النسائي والاجتماعي في المملكة، وحينما استقرت الملكة زين الشرف في العاصمة الأردنية عمان عقب زواجها من الأمير طلال، كان المجتمع الأردني لا يزال يغلب عليه الطابع البدوي، ولم تكن مظاهر التحضر قد ترسخت فيه إلى الحد الذي يسمح للمرأة بممارسة دورها بحرية وانفتاح. إلا أن زين الشرف، التي تنتمي إلى الأسرة الهاشمية وتربت في بيئة حضارية متقدمة مثل: مصر، جاءت محملة بثقافة واسعة وتجربة عميقة استمدتها من بلد عرف بحضارته العريقة وانفتاحه الثقافي على العالم العربي والغربي. فقد أمضت الملكة شطرا من حياتها في القاهرة، المدينة التي كانت آنذاك منارة فكرية عربية تحتضن نخبة من المفكرين والمثقفين والأدباء، وكانت على تماس مباشر بالحضارات الأوروبية بحكم موقعها المتوسطي وتاريخها التفاعلي الغني(الجعفري، 2006، ص5).

لقد انعكس هذا المخزون الثقافي والحضاري الذي حملته معها على رؤيتها المجتمعية في الأردن، فأدركت منذ البداية أن النهوض بدور المرأة الأردنية يعد مدخلا أساسا للنهوض بالمجتمع بأكمله، ومن هذا المنطلق سعت إلى توظيف ما اكتسبته من خبرة وثقافة في خدمة وطنها الجديد، وانطلقت في العمل المجتمعي بجدية وحماسة، ففي عام 1945، شاركت إلى جانب نخبة من السيدات الأردنيات في تأسيس أول جمعية نسائية في البلاد، وتم انتخابها رئيسة لها، لتكون بذلك أول من تولى هذا الدور القيادي في الحراك النسوي الأردني، وفي صيف العام ذاته، رافقت الزعيمة النسائية المصرية البارزة هدى الشعراوي في جولتها في عدد من الدول العربية، والتي هدفت إلى توثيق التعاون بين النساء العربيات وتعزيز الروابط بين الحركات النسائية في مختلف الأقطار، وقد مثل هذا الحدث نقطة التقاء بين الجهود المحلية الأردنية والمساعي النسوية العربية، ورسخ مكانة زين الشرف كرمز عربي للعمل النسائي (المصرية، 1955، ص 2).

ومع وقوع نكبة فلسطين عام 1948، وتدفق أعداد كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين إلى الأردن، كانت الملكة زين الشرف من أوائل الشخصيات التي بادرت إلى تنظيم جهود الإغاثة، فقد ساهمت في تأسيس الفرع النسائي للهلال الأحمر الأردني، وتولت رئاسته، مما أتاح لها فرصة توجيه الطاقات النسائية نحو العمل التطوعي والإغاثي في مختلف المدن الأردنية، مثل: عمان، وإربد، والزرقاء وقد ساعد هذا النشاط المنظم على توفير الدعم والإغاثة للنازحين، وفي الوقت

ذاته عزز من حضور المرأة الأردنية في المجال العام، ومنح زين الشرف دعما شعبيا واسعا، ورسخ صورتها كقائدة مجتمعية ذات رؤية إنسانية متقدمة(الشيخ علي، 2002، ص247).

إن المدة من عام 1916 حتى عام 1951، شكلت الإطار التأسيسي لشخصية زين الشرف السياسية والاجتماعية ففي هذه المرحلة، اكتسبت الوعي التاريخي، وتكونت أدواتها الفكرية، وصاغت رؤيتها لدور المرأة في بناء الدولة، مما جعلها مؤهلة للعب أدوار محورية في المراحل السياسية اللاحقة التي ستشهدها المملكة الأردنية الهاشمية.

ثانيا: مشاركة الملكة زين الشرف في إدارة الحكم وشؤون الدولة 1951–1956

شكلت الأعوام الخمسة الممتدة من 1951 حتى 1956 حقبة مفصلية في تاريخ الأردن السياسي وهي المرحلة التي برز فيها دور الملكة زين الشرف بشكل فاعل بعد اغتيال الملك عبد الله الأول، وتولي زوجها الملك طلال بن عبد الله الحكم، وقد انتقلت زين الشرف من دور اجتماعي محدود إلى موقع المشاركة غير المعلنة في إدارة شؤون الدولة، بدعمها السياسي لزوجها، وتقديمها المشورة الهادئة، ومتابعتها الحثيثة لمجريات الأمور في البلاد، وذلك في وقت كانت فيه المملكة تمر بأخطر مراحلها الانتقالية بعد حادثة الاغتيال وتزايد التحديات الإقليمية.

ومثل مقتل الملك عبد الله الأول في مدينة القدس عام 1951، صدمة كبيرة للوسط السياسي الأردني، إذ جاءت حادثة الاغتيال في لحظة دقيقة أعقبت إعلان وحدة الضفتين وتصاعد التوترات العربية –الإسرائيلية وفي ظل هذا الفراغ المفاجئ في قمة هرم الحكم، لم تبرز شخصية الملكة زين الشرف على الساحة العامة بشكل واضح إلا بعد اعتلاء زوجها، الأمير طلال بن عبد الله، عرش المملكة الأردنية الهاشمية في آب 1951، فقد اقتضت المرحلة وجود شخصية جامعة تمثل الاستقرار داخل العائلة المالكة، وتضطلع بدور سياسي واجتماعي قادر على الحفاظ على استمرارية الحكم الهاشمي، وهنا بزغ دور الملكة زين، التي أدت دورا محوريا في دعم العرش وتعزيز التماسك الداخلي للنظام(رضا، 1962).

وكان عهد الملك طلال مضطربا بطبيعته، إذ لم يحظ بتأييد واضح من قبل السلطات البريطانية؛ تحديدا تعاطفه مع الفلسطينيين الذين شردوا من ديارهم بسبب السياسات البريطانية الداعمة لقيام دولة إسرائيل، فضلا عن أن خلفية الملك طلال العائلية، بوصفه حفيد الشريف

حسين الذي دخل في صراع مفتوح مع البريطانيين، أضفت على العلاقة بينه وبينهم قدرا من التوتر والشك، وفي هذا السياق شهد قصر بسمان الملكي في عمان جملة من المشاورات السياسية والعائلية الحساسة، شارك فيها رئيس الوزراء العراقي نوري السعيد، والسير أليك كيركبرايد، المندوب السامي البريطاني في عمان، إلى جانب الجنرال البريطاني كلوب باشا، قائد الجيش العربي الأردني آنذاك. وقد تمحورت هذه النقاشات حول وضع الملك طلال الصحي وقدرته على الاستمرار في أداء مهامه الدستورية، إذ بدأ الحديث عن إصابته بمرض نفسي يعيقه عن الاستمرار في الحكم(جم، 1987، ص44).

وعلى الرغم من تعدد الروايات واختلافها بشأن حالته الصحية فقد استقر رأي مجلس النواب الأردني –بدعم من البريطانيين ونوري السعيد– على ضرورة عزله بحجة إصابته بمرض عقلي غير قابل للشفاء، مما يفقده الأهلية المطلوبة لتولي شؤون الحكم، وفي ضوء هذا التوافق السياسي تم اتخاذ قرار بالحجر عليه وترحيله إلى مدينة إسطنبول، وخلال تلك المرحلة الحساسة، نسبت إلى الملكة زين الشرف مواقف متعاطفة مع وجهة نظر الداعين إلى العزل، وهو ما أوردته بعض الأحاديث السياسية المتداولة آنذاك في أروقة الحكم العربي، إلا أن الملكة زين كانت تنفي تلك الادعاءات بشكل قاطع فقد ورد على لسانها في وقت لاحق قولها: "أعتقد أنه حين تحين الفرصة لإعلان الأسرار، سيعرف العالم أجمع حقائق المحن التي أطاحت بزوجي، فساقته إلى المرض"(المصرية، 1955، ص2).

وعقد مجلس النواب الأردني جلسة سرية خصصت لمناقشة الحالة الصحية للملك طلال بن عبد الله، استنادا إلى التقارير الطبية التي أكدت عدم قدرته على الاستمرار في أداء واجباته الدستورية. وفي ختام المناقشات، صدر قرار بإعفائه من منصبه. وقد أبلغ الملك طلال بالقرار من قبل اللواء أحمد صدقي باشا، فتلقاه الملك بحزن بالغ وأسف شديد، مما انعكس على مشاعر جميع من كانوا برفقته في المجلس. وبروح المسؤولية والوطنية، قال الملك طلال: "لقد كنت أنتظر مثل هذا القرار، وأرجو أن تبلغ الحكومة والمجلس تقديري، راجيا من الله أن يحفظ بلادي وشعبي". غادر الملك طلال الأراضي الأردنية متوجها إلى مصر لاستكمال العلاج في منطقة حلوان القريبة من القاهرة، ثم انتقل إلى تركيا حيث استقر في إحدى ضواحي إسطنبول على ضفاف مضيق البوسفور(كلوب باشا، ص168).

وفي تلك الأثناء كانت الملكة زين الشرف تقيم في سويسرا بغرض العلاج من نوبة قلبية ألمت بها، وكان برفقتها أولادها: ولي العهد الأمير الحسين، والأمير محمد، والأمير الحسن، بالإضافة

إلى ابنتها الوحيدة الأميرة بسمة، وفي صباح يوم 12 آب 1952، خرجت الملكة مع ابنائها الثلاثة – باستثناء الأمير الحسين الذي سمع صوت قرع الباب، حيث دخل الخادم يحمل مظروفا موضوعا على صينية من الفضة. وبمجرد أن وقعت عيناه على العبارة المكتوبة على الظرف: "إلى صاحب الجلالة الملك حسين"، أدرك فورا أن نداء الملك قد بلغه رسميا. وعلى الرغم من أنه لم يكن قد أتم السابعة عشر من عمره، احتفظ بالمظروف في جيبه، ثم خرج ليقابل والدته وإخوته في الساحة، إذ بادر والدته قائلا: "لقد استلمت هذه البرقية توا". وناولها إياها وحينما قرأتها، وضعت ذراعيها على كتفيه في صمت عاطفي عميق، من دون أن تنطق بكلمة، فعاد الجميع على الفور إلى الفندق وهم يحملون عبء المرحلة الجديدة. وبعد أيام قليلة، غادروا مدينة لوزان متجهين إلى عمان، إيذانا ببدء عهد جديد في تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية(جم، 1987، ص42).

وفي ضوء التغيير الجذري الذي طرأ على العرش الأردني بعد تنحي الملك طلال، بقيت الملكة زين الشرف محتفظة بمكانتها كالسيدة الأولى في الدولة، نظرا لكون ابنها، الأمير الحسين، هو من عد الملك الجديد للمملكة الأردنية الهاشمية، على الرغم من أنه لم يكن قد بلغ السن القانونية التي تخوله ممارسة صلاحياته الدستورية. ووفقا للدستور الأردني، جرى تشكيل مجلس وصاية ملكية ليتولى شؤون الحكم بالنيابة عنه إلى حين بلوغه سن الثامنة عشر، وهو السن الذي تمنح فيه الصلاحيات الدستورية للملك فعليا، وبرز دور الشريف ناصر بن جميل، خال الملك الحسين وشقيق الملكة زين الشرف، وهو ضابط سابق في الجيش العراقي كان قد غادر العراق منذ أن ارتقى الملك طلال إلى العرش الأردني، مفضلا الإقامة في الأردن إلى جانب شقيقته وقد وجه الشريف ناصر نصيحة بالغة الأهمية لابن شقيقته، تمثلت في ضرورة إكمال دراسته العسكرية في "أكاديمية ساندهيرست الملكية" في لندن، وهي المؤسسة التي سبق أن التحق بها والده الملك طلال، وقد برر الشريف ناصر اقتراحه هذا بأن الأكاديمية تعد من أعرق وأهم المؤسسات العسكرية في العالم، وأنها تمثل المكان الأمثل الذي يمكن للملك المستقبلي أن ينهل فيه من علوم القيادة والإدارة والانضباط العسكري ونقل له مقولة والده: "إنها أفضل مدرسة حربية في العالم، وخير مكان يختاره الرجل ليتعلم مهنته كملك". استجيب لهذا المقترح سريعا، وبدأت الترتيبات الرسمية لتسجيل الأمير الحسين في الأكاديمية البريطانية العريقة وأجريت الاتصالات اللازمة، وتم التنسيق مع إدارة ساندهيرست، وأوكلت متابعة ملف الحسين إلى الجنرال البريطاني كلوب باشا، القائد العام للجيش العربي آنذاك ووفقا للخطة تم إعداد برنامج خاص مدته ستة

أشهر، يشمل تدريبات مكثفة في القيادة والانضباط والتأهيل العسكري، بهدف إعداد الملك الشاب لتولي مهامه الدستورية فور عودته إلى عمان بعد استكمال التدريب (جم، 1987، ص 47).

وفي أثناء مدة الوصاية قامت زين الشرف بإدارة الشؤون الداخلية للقصر، وأشرفت على تعليم وتكوين الحسين بن طلال، بإلحاقه بمدارس عسكرية ومدنية داخل الأردن وخارجها، فضلا عن تلقينه مبادئ السياسة وإدارة الدولة، وحرصت على أن يكون الحسين على تماس دائم مع المسؤولين المدنيين والعسكريين، مما أسهم في إعداده بشكل عملي ومبكر لتولي مهامه كملك، وعلى الرغم من أن الدستور الأردني لم يمنح الوصي صلاحيات مطلقة، إلا أن زين الشرف استعملت ما تتيحها المرحلة من أدوات لتأمين انتقال هادئ ومستقر للسلطة، فقد كانت تتعامل مع مختلف القوى السياسية بحنكة، وتسعى إلى تجنب الصدامات، وتفضل أسلوب التفاهم والحوار مما مكن البلاد من اجتياز الأزمة بأقل قدر من الاضطراب، ولاسيما في ظل ارتفاع وتيرة التدخلات الإقليمية في الشأن الأردني(الشيخ علي، 2002، ص246).

وحرصت زين الشرف كذلك على دعم استقلال القرار الأردني، فكانت من أوائل الشخصيات داخل القصر التي عبرت وساندت التوجهات الوطنية التي نادت بتعريب قيادة الجيش، وقد ظهرت بعض مؤشرات هذا التوجه في مراسلاتها غير المعلنة مع عدد من الشخصيات العربية الداعمة للسيادة الأردنية، مما شكل بداية لتوجه سيادي سيتبلور بشكل أكبر لاحقا في عهد ابنها الملك الحسين، ومن أبرز مواقفها في هذه المرحلة، دعمها التام لتقوية مؤسسات الدولة الدستورية، ولاسيما البرلمان والقضاء، إذ سعت إلى حماية التجربة الديمقراطية الناشئة من تدخلات القصر أو من عسكرة الدولة. كانت تؤمن بأن الطريق الوحيد لضمان استقرار النظام هو وجود مؤسسات تحظى بثقة الشعب، مما جعلها تحث المحيطين بها دائما على احترام سلطات البرلمان وقرارات الحكومة المنتخبة(كلوب باشا، ص266).

أدارت زين الشرف هذا الانتقال بسلاسة تامة إذ استقال مجلس الوصاية، وسلمت سلطاتها لابنها الحسين دون أي محاولة للبقاء في الصورة أو فرض تأثير غير دستوري وكان هذا التصرف موضع إشادة من مختلف الأوساط، بوصفه تجسيدا نادرا لمفهوم "الملكة الأم" المتقانية التي تعد الجيل القادم للقيادة دون التمسك بالسلطة، ولم يكن دور زين الشرف في هذه المرحلة محصورا في التأثير الداخلي فقط، بل مارست كذلك اتصالات خارجية محسوبة مع أطراف عربية وأجنبية؛ لضمان الاعتراف بالملك الجديد. وقد ساعد حضورها المعروف واحترامها في الأوساط

الدبلوماسية على تسريع قبول الحسين ملكا شرعيا للأردن، ولاسيما في ظل حساسية بعض الدول تجاه التغيرات الملكية في المنطقة خلال تلك المدة(جم، 1987، ص 58).

وبانتهاء عام 1956، كانت زين الشرف قد أدت دورا تاريخيا غير مسبوق لامرأة في النظام الملكي الأردني، إذ تولت بفعالية إدارة مرحلة انتقالية دقيقة حافظت فيها على وحدة النظام واستقرار الدولة ولم تسع إلى موقع رسمي دائم، لكنها أثبتت أن النساء يمكن أن يكن صانعات قرار خلف الستار، ومهندسات استقرار في لحظات اضطراب، مما مهد لبداية مرحلة جديدة من أدوارها التي ستتبلور في العقود التالية، وبذلك، فإن الأعوام من 1951 إلى 1956 تمثل المرحلة السياسية الأشد حساسية التي خاضتها الملكة زين الشرف إذ تحولت من زوج ملك إلى وصية على العرش وقائدة سياسية في الظل تركت بصمتها في صلب عملية بناء الدولة، ورسخت مفهوم القيادة النسائية غير المعلنة في الأنظمة الملكية العربية الحديثة.

ثالثا: جهود الملكة زين الشرف في دعم قضايا المرأة الأردنية 1956–1975

تمثل المرحلة الممتدة من عام 1956 حتى 1975 ذروة الحضور العام للملكة زين الشرف في مجال تمكين المرأة الأردنية، سواء على الصعيد المحلي أو في المحافل الإقليمية والدولية. فبعد أن أدت دورها السياسي الهادئ خلال وصايتها على العرش، انتقلت في هذه المرحلة إلى تبني قضايا المرأة بشكل صريح ومباشر، عبر تأسيس مؤسسات نسائية، وتطوير مشاريع مجتمعية، والتأثير على التشريعات، والمشاركة في مؤتمرات دولية وقد تميز نشاطها بالتدرج والتنظيم، فبدأت بتقوية البنية النسوية داخل الأردن، قبل أن تتوسع نحو العمل العربي والعالمي الداعم لحقوق النساء.

وبعد أن استقر الحكم للملك الحسين عام 1956، شرعت الملكة زين الشرف في إعادة هيكلة الاتحاد النسائي الأردني ليكون إطارا أكثر فاعلية وشمولا، وذلك بإدخال تعديلات تنظيمية سمحت بتمثيل نساء المحافظات كافة، وتوسيع صلاحيات اللجان التنفيذية وهدفها في ذلك لم يكن فقط تمكين المرأة داخل العاصمة، بل ضمان شمول الريف والبادية في التنمية النسوية، مما شكل نقلة نوعية في مفهوم "الحركة النسائية" الأردنية، التي كانت آنذاك مقتصرة على فئات محددة من النخبة، ومن أولى المبادرات التي قادتها زين الشرف خلال هذه المدة، تأسيس مراكز لمحو الأمية للفتيات في المناطق المهمشة، ولاسيما في إربد والكرك والسلط. وقد تم ذلك بالتعاون

مع وزارة التربية والتعليم، وبدعم من الاتحاد النسائي، وبإشراف مباشر منها. كان لهذه المراكز أثر بالغ في فتح أبواب التعليم أمام نساء لم تتح لهن فرصة دخول المدرسة، وعدت هذه الخطوة أول تحرك مؤسسي حقيقي لتقليص فجوة التعليم بين الجنسين في الأردن(ياغي، 1988، ص17).

وأولت الملكة أهمية كبيرة للجانب الصحي، فقادت حملة وطنية لإنشاء عيادات الأمومة والطفولة في المدن الكبرى ومراكز المحافظات وقد تبنت هذه المبادرة جمعية الهلال الأحمر الأردني، إذ نظمت برامج توعية صحية للنساء الحوامل والمرضعات، فضلا عن حملات تطعيم للأطفال، وأدت زين الشرف دورا تنسيقيا بين المنظمات الطبية الدولية والحكومة الأردنية لتوفير اللقاحات والمعدات، في وقت كانت فيه الموازنات الصحية محدودة، ولم يكن جهدها مقتصرا على الجانب الخيري، بل كانت حريصة على أن يتحول نشاط المرأة إلى عمل مؤسسي مستدام، ولهذا السبب سعت إلى تدريب النساء على المهارات الإنتاجية، وذلك بتأسيس مراكز للخياطة والتطريز وصناعة السجاد اليدوي، ولاسيما في مناطق الجنوب. وقد خصص ريع هذه المنتجات لدعم الأسر المحتاجة، وفتح باب التصدير لبعض هذه الأعمال إلى دول الخليج، مما أسهم في تمكين المرأة اقتصاديا وربطها بسوق العمل(محمد، 1987، ص31).

وشجعت زين الشرف علنا دخول النساء إلى المجالس البلدية وكانت من أوائل من دعم ترشيح النساء للانتخابات المحلية في عمان والزرقاء عام 1960، وقد ظهر ذلك في تصريحاتها الإعلامية النادرة التي ركزت فيها على "ضرورة تمثيل المرأة في مراكز القرار المحلي لتكون شريكة في التنمية". وكان لهذا التوجه أثر طويل المدى، إذ مهد الطريق لدخول المرأة لاحقا إلى البرلمان والحكومة، وشاركت الملكة زين الشرف في عدد من المؤتمرات النسوية العربية، أبرزها المؤتمر النسائي العربي في القاهرة عام 1958، إذ ترأست الوفد الأردني وقدمت ورقة عمل بعنوان "المرأة العربية والتنمية الوطنية" ركزت فيها على الربط بين تحرير المرأة والتنمية الاقتصادية، ودعت إلى تعزيز التشبيك بين المؤسسات النسائية في الوطن العربي وقد ساعد خطابها في فتح قنوات تعاون مع منظمات نسوية في لبنان وسوريا ومصر(الحسين، 1979، ص16).

واستثمرت زين الشرف مكانتها الدولية في دعم قضايا المرأة على مستوى الأمم المتحدة، إذ حضرت مؤتمر حقوق المرأة العالمي الذي انعقد في روما عام 1961، كمراقبة أردنية رسمية. وخلال المؤتمر، أجرت لقاءات مع عدد من ممثلات الدول الغربية، وعرضت إنجازات الأردن في

تعليم البنات وتوسيع فرص العمل للنساء. وقد نالت إشادة خاصة من ممثلي دول شمال أوروبا، الذين دعوها لزيارات تبادلية لتعزيز الحوار الثقافي النسوي، ومن إنجازاتها البارزة كذلك تأسيس "المجلس الأعلى للمرأة الأردنية" كمؤسسة استشارية تعمل إلى جانب الحكومة منذ عام 1965، وقد سعت فيه إلى توحيد جهود جميع الجمعيات النسوية في البلاد تحت مظلة تنسيقية واحدة. عمل المجلس على تقديم مقترحات للسياسات الحكومية، وتنظيم البحوث المتعلقة بالمرأة، وتدريب الكوادر النسائية. وكان هذا الإطار المؤسسي خطوة غير مسبوقة في العمل النسائي العربي، سبقت مثيلاتها في عدد من الدول المجاورة(الشرقي، 1963، ص 14).

وأدت زين الشرف دورا أساسا في التعليم وفتحت المجال أمام الفتيات لدخول الجامعة الأردنية منذ تأسيسها عام 1962، وأصرت على تخصيص سكن جامعي آمن للطالبات؛ لتشجيع الأسر الريفية على إرسال بناتهن، وقدمت منحا دراسية من خلال "صندوق الملكة زين الشرف"، وقد استفادت منها مئات الطالبات، مما أسهم في اتساع قاعدة النخبة النسوية المتعلمة في البلاد، ولم تغفل الملكة الجانب الإعلامي في خدمة قضايا المرأة، إذ دعمت إصدار مجلة نسائية أردنية باسم "المرأة الجديدة" عام 1967، وكانت تهدف إلى نشر الوعي الحقوقي والصحي والتعليمي بين النساء ولاسيما في المناطق الريفية، وأسهمت في تدريب أولى مذيعات الإذاعة الأردنية، وافتتحت دورات إعلامية بالتعاون مع وزارة الإعلام، لتأهيل الفتيات في مجالات الصحافة والإلقاء الإذاعي، وحرصت زين الشرف كذلك على دعم القضايا النسوية ذات البعد الإنساني، مثل: رعاية الأرامل والناجيات من العنف، وأشرفت على إطلاق مأوى نسائي في عمان عام 1970، بالتعاون مع الهلال الأحمر ومؤسسات ألمانية وقد وفرت فيه خدمات الإيواء والرعاية الطبية والنفسية، وعملت على إعادة تأهيل النساء عبر التدريب المهني، مما شكل تجربة رائدة على المستوى الإقليمي(كلوب باشا، ص267).

وساهمت زين الشرف في عقد شراكات مع منظمات مثل: "الاتحاد النسائي الدولي" عام 1945، و"اليونسيف"، لتطوير برامج موجهة للمرأة الأردنية، ولاسيما في مجال الطفولة المبكرة والصحة الإنجابية. وقد زارت أكثر من سبع دول في أوروبا وآسيا في إطار تبادل الخبرات حول تمكين المرأة، وأسهمت هذه الجولات في تعزيز مكانة الأردن كدولة ناشطة في ملف المرأة على الساحة الدولية، وأشرفت الملكة زين الشرف كذلك على تأسيس "مركز زين الشرف للتنمية الاجتماعية" في بدايات السبعينات، ليكون بمثابة منصة دائمة لتدريب النساء، وتنفيذ مشاريع صغيرة ومتوسطة تستهدف المجتمعات المحلية، وتحديدا النساء غير المتعلمات. وارتكز عمل

المركز على فلسفة التمكين القاعدي، لا الرعاية التقليدية، وقد تحول خلال سنوات قليلة إلى أنموذج يحتذى به في عدد من دول الجوار (الشيخ علي، 2002، ص244).

وهكذا يظهر أن الحقبة الممتدة بين عامي 1956 و1975 شهدت تحول زين الشرف من ملكة سابقة إلى قائدة مجتمعية فاعلة، أدت دورا استثنائيا في صياغة وقيادة مشروع نهضوي نسوي متكامل. لقد تحركت برؤية متوازنة تجمع بين الواقعية والإصلاح، وجعلت من ملف المرأة أولوية وطنية، ومارست نفوذها الرمزي بشكل ذكي وفاعل، مما أسس لمرحلة جديدة من الحضور النسوي في الحياة الأردنية العامة.

رابعا: الملكة زين الشرف والهوية الوطنية والتنمية الاجتماعية في الأردن 1975–1994

مثلت الحقبة الممتدة من عام 1975 حتى عام 1994، ذروة النضج الوطني في مشروع الملكة زين الشرف، فقد تحول نشاطها من التركيز على قضايا المرأة والتعليم إلى العمل الشامل في مجالات التنمية الاجتماعية، وبناء الهوية الوطنية الأردنية، وتعزيز مفهوم العدالة المجتمعية. وفي ظل احتفاظها بلقب "الملكة الأم"، لم تكتف بدور رمزي، بل كرست مكانتها للمشاركة الفعلية في تطوير سياسات اجتماعية تستند إلى حاجات المجتمع المحلي، وتمثل هموم الفئات الأقل حظا، وأدت دورا تكامليا مع المؤسسات الرسمية لتعزيز الهوية الوطنية الجامعة في ظل تحديات داخلية وإقليمية متزايدة.

ومع دخول الأردن مرحلة جديدة من التحديث السياسي والاجتماعي في أواخر السبعينات، رأت الملكة زين الشرف أن مرحلة البناء الوطني لا يمكن أن تكتمل دون أن تؤسس على مفهوم تنموي شامل يراعي العدالة والتوزيع المتوازن للخدمات، ولهذا السبب أطلقت مبادرتها الكبرى بتأسيس "مؤسسة الملكة زين الشرف للتنمية الاجتماعية" عام 1977، لتكون مظلة للمشاريع التنموية القاعدية ووسيطا عمليا بين الدولة والمجتمع، وتعد هذه المؤسسة واحدة من أبرز إنجازاتها في المجال الاجتماعي التنموي، وتبنت الملكة زين الشرف من خلال المؤسسة مشروع "التنمية من القاعدة"، الذي استهدف القرى النائية والأحياء الفقيرة في المدن الكبرى وقد اعتمدت فلسفة المشاركة المجتمعية بدلا من الإعانة، إذ نظمت المؤسسة برامج تدريب مهني للنساء والرجال، ومشاريع صغيرة مدرة للدخل، وقروض دوارة لتشجيع الريادة المحلية وتم تنفيذ هذه المبادرات من

خلال كوادر مدربة من ابناء المجتمع المحلي، مما منح المشروع قبولا واسعا وأسهم في تقوية النسيج الاجتماعي(البغدادية، 1991، ص 26).

ومن خلال شبكة المراكز التنموية التي أنشأتها في المحافظات، عملت الملكة زين الشرف على ترسيخ مفاهيم المواطنة والهوية الوطنية، إذ لم تقتصر هذه المراكز على تقديم خدمات مادية، بل كانت كذلك منصات للحوار الثقافي، وتنظيم الأنشطة المجتمعية، وتعزيز التعاون بين المواطنين وقد حرصت على أن ترفع شعارات الوحدة والتسامح والعمل المشترك مما جعل هذه المراكز أدوات حقيقية لترسيخ مفهوم الوطنية الأردنية في مجتمع متعدد الهويات العشائرية والريفية والحضرية، وتبنت الملكة نهجا شموليا في التنمية، إذ ربطت بين التعليم، والصحة، والمشاركة الاقتصادية، وعدت أن الاستقرار السياسي لا يتحقق دون عدالة اجتماعية حقيقية ولهذا دعمت تطوير برامج محو الأمية للكبار، وبرامج الرعاية الصحية المجتمعية، فضلا عن بناء عدد من المدارس النموذجية في المناطق المهمشة، بالتنسيق مع وزارتي التربية والصحة وكان إشرافها مباشرا بما يعكس فهمها العميق لتفاصيل البنية الاجتماعية الأردنية(العربي اللبنانية، 1977، ص21).

وبرز دورها كذلك في تعزيز الهوية الوطنية باهتمامها بقطاع الشباب، إذ دعمت تأسيس نواد ثقافية ورياضية في المدن والبلدات الصغيرة، وشجعت إطلاق مبادرات شبابية تطوعية لخدمة المجتمع المحلي، وأسهمت هذه البرامج في دمج الشباب في مشاريع التنمية، وتحصينهم ضد تيارات التطرف أو الانعزال. وقد كانت الملكة ترى أن الشباب هم الحامل الأساس لمشروع الدولة الحديثة، وكان هذا التوجه واضحا في خطابها التنموي والاجتماعي، ولم تغفل الملكة زين الشرف البعد الثقافي في مشروعها، فدعمت مبادرات تهدف إلى الحفاظ على التراث الشعبي الأردني، سواء بالحرف اليدوية، أو الفنون، أو الزي التقليدي، وتم تنظيم مهرجانات في عدد من المحافظات لتشجيع إحياء الموروث المحلي. وقد ساعد هذا في تعزيز الشعور بالانتماء، ولاسيما في المناطق التي شعرت بالتهميش أو العزلة وبهذا المزج بين التنمية والتراث أسهمت الملكة في تعزيز روح الانتماء الوطني لدى المواطنين(الجعفري، 2006، ص46).

وأدت زين الشرف دورا مؤثرا في إدارة الأزمات الداخلية ولاسيما في أوقات التوترات السياسية أو الاقتصادية فكانت تلجأ إلى زيارات مفاجئة لبعض المناطق المنكوبة أو الفقيرة، وتجري لقاءات مع الأهالي، وتستمع إلى مطالبهم، وتنقلها بصيغة دقيقة إلى الملك والحكومة وقد سجل لها تدخل فاعل بعد أزمة الأسعار عام 1989، إذ دعت إلى تعزيز شبكة الحماية الاجتماعية

وتوسيع دعم الغذاء والصحة للفئات الأقل دخلا، وعلى الرغم من أنها كانت قد خفضت من وتيرة خطابها النسوي المباشر، إلا أن الملكة زين الشرف واصلت دعمها لتوسيع فرص العمل والتعليم للفتيات وأشرفت على تطوير برامج خاصة لتدريب الخريجات على مهارات السوق. وساعدت في بناء شراكات مع منظمات الأمم المتحدة العاملة في مجال تمكين المرأة مثل: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، مما منح المرأة الأردنية موقعا أوضح في مشاريع التنمية المستدامة(جم، 1987، ص18).

ولم يكن حضورها محليا فقط بل واصلت تمثيل الأردن في المحافل الدولية ذات الصلة بالتنمية فشاركت في عدة مؤتمرات تابعة للأمم المتحدة حول حقوق الإنسان والتنمية الريفية، منها مؤتمر كوبنهاغن للتنمية الاجتماعية عام 1990، وقد مثلت الأردن في هذه اللقاءات بصفتها رئيسة مؤسسة تنموية وطنية، وعرضت نماذج من تجارب الأردن في المشاركة المجتمعية، وكانت تحظى بتقدير خاص من الجهات المانحة بفضل صدقيتها وواقعية مشاريعها، وقد أسهمت في وضع أسس أول سياسات وطنية لمعالجة الفقر في الأردن، إذ شاركت في لجان استشارية غير رسمية مع وزارات التخطيط والتنمية الاجتماعية، وساهمت عبر فريق عمل مؤسستها في إعداد خرائط للفقر، ودراسات ميدانية حول احتياجات الأسر هذا التكامل بين العمل الميداني والتحليل المؤسسي جعل من مساهمتها جزءا من السياسات الحكومية على الرغم من أنها لم تكن جزءا من الجهاز التنفيذي الرسمي(الجليل، 1990، ص5).

وعرفت الملكة كذلك بدورها في الدفاع عن حقوق ذوي الإعاقة، وقد أطلقت منذ عام 1981، برنامجا وطنيا لتأهيل الأطفال المعوقين بالتعاون مع منظمات دولية ومراكز طبية أردنية وشجعت تدريب أمهات الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، ووفرت تمويلا لإنشاء مراكز علاج طبيعي وتأهيل مهني لهم، وكان هذا البرنامج من أوائل المبادرات الرسمية التي تناولت قضية الإعاقة بمنظور حقوقي وإنساني شامل في الأردن، وأسهمت في تعزيز الشراكة بين القطاعين العام والخاص في تنفيذ مشاريع الرعاية والتنمية، إذ سعت إلى إشراك رجال الأعمال الأردنيين في تمويل برامج اجتماعية ضمن إطار "المسؤولية الوطنية"، وكانت تؤمن أن التنمية لا تتم فقط بوساطة الحكومة، بل بتعاون الجميع. وقد نجحت في تأسيس تحالفات مجتمعية متكاملة استمرت حتى ما بعد وفاتها(الحسني، 1982، ص 172).

ومع وفاتها في عام 1994، طويت صفحة مشرقة من صفحات القيادة النسوية الهادئة والمؤثرة في العالم العربي. فقد مثلت الملكة زين الشرف أنموذجا نادرا لقائدة استعملت موقعها

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

الرمزي لتغيير الواقع الاجتماعي والسياسي والاقتصادي دون أن تدخل في صدامات، أو تتجاوز التقاليد وكانت تجربتها في هذه المرحلة تتويجا لمسيرة امتدت أكثر من أربعين عاما في خدمة الأردن، وإنضاج هويته الوطنية، وترسيخ قيم العدالة والتنمية المجتمعية.

الخاتمة:

لقد أظهرت دراسة الدور السياسي والاجتماعي للملكة زين الشرف أن حضورها لم يكن مجرد انعكاس لمكانتها الأسرية أو موقعها كزوجة وأم لملكين هاشميين، بل كان تعبيرا صادقا عن مشروع وطني تنموي متكامل، اتسم بالثبات والاتزان والاستمرارية. فمنذ نشأتها وتكوينها السياسي في النصف الأول من القرن العشرين، أظهرت وعيا استثنائيا بأهمية المشاركة في الشأن العام، وكانت مساهمتها في إدارة الحكم خلال مرحلة انتقالية دقيقة (1951–1956) دليلا على امتلاكها أدوات القيادة والحكمة السياسية في وقت كان حضور المرأة في الحكم أمرا نادرا.

وخلال العقود التالية، انتقل دورها من الرسمي إلى المجتمعي، لكنها بقيت حاضرة في قلب التحولات الوطنية، وذلك بدعم قضايا المرأة، وتأسيس بنية تنموية قاعدية، وترسيخ مفاهيم الهوية الوطنية، والعدالة الاجتماعية، والمواطنة المتساوية وقد امتاز نهجها بالتوازن بين احترام التقليد والانفتاح على الحداثة، فعملت على دمج النساء في الحياة العامة دون صدام، وسعت إلى تمكين الفئات المهمشة دون أن تحل محل المؤسسات الرسمية، بل كانت دائما تسندها وتكملها.

وفي هذه الدراسة، تبين أن تجربة الملكة زين الشرف تشكل أنموذجا فريدا في التاريخ السياسي العربي، يجمع بين القيادة الناعمة والتأثير العميق، ويؤسس لفهم جديد لدور المرأة في بناء الدولة خارج الأطر التقليدية وتؤكد هذه التجربة أهمية قراءة التاريخ من منظور مجتمعي متكامل، ينصف الأدوار التي أدتها شخصيات لم تكن في الصفوف الأمامية سياسيا، لكنها غيرت قواعد العمل العام بعمق وهدوء واستدامة.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

أولا: المصادر العربية

1. الجعفري، محمد حمدي. 2006. (أحاديث في السياسة والتاريخ والثقافة من دول المشرق العربي) .بغداد.
2. الجعفري، محمد حمدي. 2006. (الحسين بن طلال: الرجل والإنسان). بغداد.
3. الجعفري، محمد حمدي. 2006. (دينا: الملكة المظلومة) .بغداد.
4. جم، فريدون صاحب: 1987. (الحسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية: مهنته كملك، أحاديث ملكية). ترجمة غازي غزيل، الطبعة الأولى). مؤسسة مصري للتوزيع.
5. الحسني، عبد الرزاق. 1982. (تاريخ الوزارات العراقية) الطبعة السادسة، 10 أجزاء. مركز الأبجدية للطباعة، بيروت، لبنان.
6. الحسين، عبد الله بن. 1979. (الآثار الكاملة: حقبة من تاريخ الأردن .الدار المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
7. رضا، ممدوح. 1962. (مذكرات الملك طلال). القاهرة.
8. الشرقي، علي. 1963. (الأحلام). بغداد.
9. الشيخ علي، فائق. 2002. (مذكرات وريثة العروش: الأميرة بديعة ابنة الملك علي حفيدة ملك العرب الشريف حسين، تروي سيرة أهلها ملوك وملكات الشام والحجاز والأردن والعراق): أهم وثيقة عربية في القرن العشرين)الطبعة الثانية). دار الحكمة، لندن.
10. كلوب، جون باغوت. (دون تاريخ). (مذكرات كلوب باشا: جندي مع العرب). (ترجمة حسن الصمدي). دار النشر للجامعيين، بيروت.
11. محمد، علاء جاسم. 1987. (جعفر العسكري ودوره السياسي والعسكري في تاريخ العراق حتى عام 1936). مكتبة اليقظة العراقية، بغداد.
12. وزارة الدفاع العراقية. 1990. (تاريخ القوات المسلحة العراقية)الجزء الثالث، الطبعة الأولى). الدار العربية للطباعة، بغداد.
13. ياغي، إسماعيل أحمد. 1974. (حركة رشيد عالي الكيلاني: دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية). دار المطبعة، بيروت.

ثانيا: الدوريات

1. مجلة المصور المصرية. (1955، 25 كانون الأول). العدد 1625.
2. مجلة الأسبوع العربي اللبنانية. (1977، 21 تشرين الثاني).
3. جريدة الجمهورية البغدادية. (1991، 26 تشرين الأول). العدد 8021.
4. مجلة الجليل. (1990، أيار). المجلد 11، العدد 5.

Vol 12, Issue 41, Aug 2025
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

1. Al-Hasani, Abdul Razzaq. (1982). History of Iraqi Ministries (6th ed., 10 vols.). Al-Abjadiyah Printing Center, Beirut, Lebanon.
2. Al-Hussein, Abdullah bin. (1979). Complete Works: An Era of Jordanian History. United Printing and Publishing House, Beirut.
3. Al-Jaafari, Mohammed Hamdi. (2006). Conversations on Politics, History, and Culture from the Mashriq Arab Countries. Baghdad.
4. Al-Jaafari, Mohammed Hamdi. (2006). Dina: The Wronged Queen. Baghdad.
5. Al-Jaafari, Mohammed Hamdi. (2006). Hussein bin Talal: The Man and the Human Being. Baghdad.
6. Al-Sharqi, Ali. (1963). Dreams. Baghdad.
7. Al-Sheikh Ali, Faeq. (2002). Memoirs of a Princess: Princess Badiya, Daughter of King Ali and Granddaughter of the Arab King Sharif Hussein, Narrates the History of Her Royal Family – Kings and Queens of the Levant, Hejaz, Jordan, and Iraq: The Most Important Arab Document of the 20th Century (2nd ed.). Dar Al-Hikma, London.
8. Glubb, John Bagot. (n.d.). The Memoirs of Glubb Pasha: A Soldier with the Arabs (Trans. Hassan Al-Samadi). University Publishing House, Beirut.
9. Iraqi Ministry of Defense. (1990). History of the Iraqi Armed Forces (Vol. 3, 1st ed.). Arab Printing House, Baghdad.
10. Jam, Fereydoun Sahib. (1987). King Hussein of the Hashemite Kingdom of Jordan: His Profession as a King, Royal Conversations (Trans. Ghazi Ghazil, 1st ed.). Masri Distribution Foundation.
11. Mohammed, Alaa Jassim. (1987). Jaafar Al-Askari and His Political and Military Role in the History of Iraq until 1936. Al-Yaqadha Library, Baghdad.
12. Reda, Mamdouh. (1962). Memoirs of King Talal. Cairo.
13. Yaghi, Ismail Ahmad. (1974). The Rashid Ali Al-Gaylani Movement: A Study in the Development of the Iraqi National Movement. Dar Al-Matba'a, Beirut.
14. Al-Musawwar Magazine (Egypt). (1955, December 25). Issue No. 1625.
15. Al-Usbu' Al-Arabi Magazine (Lebanon). (1977, November 21). Weekly Issue.
16. Al-Jaleel Magazine. (1990, May). Volume 11, Issue 5.
17. Al-Jumhuriya Newspaper (Baghdad). (1991, October 26). Issue No. 8021.